بتاريخ ٧ من ربيع الآخر ١٤٤٨هـ الموافق ١٨ / ٩/ ٢٠٢٦م

عاداتٌ دَخِيلَةٌ فِي الزَّوَاجِ وَالطَّلَاقِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنَا عَلَى الْأُمَمِ بِالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَقَوَّمَ بِهِ نُفُوسَنَا بَيْنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً يَبْقَى ذُخْرُهَا عَلَى التَّأْبِيدِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أُولِي الْفَضْلِ وَالتَّسْدِيدِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الْمَزِيدِ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْكُلِّيَّةِ الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهَا الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ: التَّيْسِيرَ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ، وَرَفْعَ الْحَرَجِ عَنْهُمْ، وَلِذَلِكَ تَتَابَعَتْ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي تَقْرِيرِ هَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج: ٧٨].

وَكَانَ هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ قَائِمًا عَلَى هَذَا الْأَصْلِ؛ فَمَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ تَجْرِي فِي الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ كُلِّهَا، فَإِنَّهَا فِي شُؤُونِ الْأُسْرَةِ أَوْلَى وَأَجْدَرُ؛ لِأَنَّ الْأُسْرَةَ هِيَ نَوَاةُ الْمُجْتَمَعِ، وَكُلَّمَا دَخَلَهَا التَّيْسِيرُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ اسْتَقَرَّتِ الْبُيُوتُ، وَسَهُلَ الزَّوَاجُ، وَخَفَّتْ مَؤُونَتُهُ، وَحُفِظَتِ الْحُقُوقُ عِنْدَ الطَّلَاقِ، أَمَّا إِذَا اسْتَبْدَلَ النَّاسُ بِهَدْيِ الشَّرِيعَةِ أَعْرَافًا مُتَكَلَّفَةً وَعَادَاتٍ دَخِيلَةً، انْقَلَبَ الْيُسْرُ عُسْرًا، وَأَصْبَحَ مَا جَعَلَهُ اللهُ سَبَبًا لِلسَّكَنِ وَالْمَوَدَّةِ بَابًا لِلْمَشَقَّةِ وَالنِّزَاعِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

مِنَ الْمُؤْلِمِ أَنْ بَعْضَ النَّاسِ لَمْ تَعُدْ تَحْكُمُهُمْ أَحْكَامُ الشَّرْعِ بِقَدْرِ مَا تَحْكُمُهُمْ عَادَاتُ الْمُجْتَمَعِ، حَتَّى غَدَتْ بَعْضُ الْأَعْرَافِ، عَلَى فَسَادِهَا وَانْحِرَافِهَا، مُقَدَّمَةً عَلَى النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ، بِحُجَّةِ أَنَّ هَذَا هُوَ السَّائِدُ عِنْدَ النَّاسِ، عَجَبًا!

وَهَلْ مِيزَانُ الْحَقِّ هُوَ عَمَلُ النَّاسِ؟ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام: ١١٦].

فَأَصْبَحَ بَعْضُ النَّاسِ يَخْشَوْنَ كَلَامَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ خَشْيَتِهِمْ مُخَالَفَةَ السُّنَّةِ؛ وَلِذَا يَقُولُ قَائِلُهُمْ: أَعْرِفُ أَنَّ هَذَا تَكَلُّفٌ، لَكِنْ مَاذَا سَيَقُولُ النَّاسُ؟ وَهَكَذَا تُصْبِحُ نَظْرَةُ النَّاسِ حَاكِمَةً عَلَى الْبُيُوتِ، رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: «لَا يَكُونُ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً. قَالُوا: وَمَا الْإِمَّعَةُ، يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: يَقُولُ: «أَنَا مَعَ النَّاسِ؛ إِنِ اهْتَدَوْا اهْتَدَيْتُ، وَإِنْ ضَلُّوا ضَلَلْتُ، أَلَا لَيُوَطِّنَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ عَلَى إِنْ كَفَرَ النَّاسُ أَلَّا يَكْفُرَ».

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

لَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ عَلَى الزَّوْجِ الْمَهْرَ، وَجَعَلَهُ حَقًّا خَالِصًا لِلزَّوْجَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤] ، وَلَرُبَّمَا صَاحَبَ الْمَهْرَ بَعْضُ الْهَدَايَا الْيَسِيرَةِ مِنْ ثِيَابٍ، وَحُلِيٍّ، وَعُطُورٍ، مِنْ بَابِ تَطْيِيبِ خَاطِرِ الزَّوْجَةِ وَإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهَا، وَهِيَ مَا تُعْرَفُ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا بِالدَّزَّةِ، لَكِنَّهَا الْيَوْمَ قَدِ انْحَرَفَتْ عَنْ مَقْصُودِهَا، وَسَلَكَتْ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا مَسْلَكًا غَيْرَ مَحْمُودٍ، فَخَرَجَتْ عَنْ مَعْنَاهَا الْيَسِيرِ وَالْعَفْوِيِّ، حَتَّى أَصْبَحَتْ وَسِيلَةً لِلْمُبَاهَاةِ وَالْمُكَاثَرَةِ، وَمَيْدَانًا لِلْمُرَاءَاةِ وَالزَّهْوِ، وَفَتَحَتْ عَلَى الْأُسَرِ بَابًا وَاسِعًا مِنَ التَّنَافُسِ فِي الْمَظَاهِرِ، وَالتَّكَلُّفِ فِيمَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ، وَمِثْلُ هَذِهِ الْمُمَارَسَاتِ تُنَاقِضُ مَا جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ مِنَ الْحَثِّ عَلَى التَّيْسِيرِ، وَمُحَارَبَةِ الْإِسْرَافِ وَالْخُيَلَاءِ، وَإِغْلَاقِ أَبْوَابِ التَّفَاخُرِ بَيْنَ النَّاسِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:« إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا، وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا، وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا». [رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

وَمِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَثْقَلَتْ كَاهِلَ النَّاسِ فِي زَمَانِنَا: تَعَدُّدُ الْحَفَلَاتِ قَبْلَ الزَّوَاجِ وَبَعْدَهُ؛ فَمَا إِنْ يُعْقَدُ النِّكَاحُ حَتَّى تَتَوَالَى الْمُنَاسَبَاتُ، وَتَتَكَرَّرَ الْوَلَائِمُ، وَتَتَعَدَّدَ الِاحْتِفَالَاتُ، حَتَّى أَصْبَحَ الزَّوَاجُ سِلْسِلَةً مِنَ النَّفَقَاتِ الْمُتَلَاحِقَةِ، وَلَيْسَ الْإِشْكَالُ فِي الْفَرَحِ وَإِظْهَارِ السُّرُورِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَشْرُوعٌ، وَإِنَّمَا الْإِشْكَالُ فِي التَّكَلُّفِ وَالْمُغَالَاةِ، وَتَحْوِيلِ هَذِهِ

الْمُنَاسَبَاتِ إِلَى أَعْرَافٍ يُحْرَجُ النَّاسُ بِتَرْكِهَا، وَهَكَذَا يَتَحَوَّلُ الْفَرَحُ الَّذِي أَرَادَهُ الْإِسْلَامُ مَيْسُورًا إِلَى عِبْءٍ مَالِيٍّ يُرْهِقُ الْأُسَرَ، وَيُؤَخِّرُ زَوَاجَ الشَّبَابِ، وَيُدْخِلُهُمْ فِي دَوَّامَةٍ مِنَ الدُّيُونِ لَا دَاعِيَ لَهَا.

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ أَثَرَ صُفْرَةٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» قَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: «بَارَكَ اللهُ لَكَ، أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ» . [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوه إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى رِضْوَانِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ؛ فَإِنَّ فِي تَقْوَاهُ سَعَادَةً لِلْعِبَادِ، وَهِيَ خَيْرُ مَا يُتَزَوَّدُ بِهِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

وَكَمَا تَسَلَّلَتْ إِلَى الزَّوَاجِ أَعْرَافٌ دَخِيلَةٌ أَثْقَلَتْ كَاهِلَ النَّاسِ، فَإِنَّ الطَّلَاقَ لَمْ يَسْلَمْ هُوَ الْآخَرُ مِنْ مُمَارَسَاتٍ مُسْتَحْدَثَةٍ شَوَّهَتْ مَقْصُودَهُ الشَّرْعِيَّ، فَالطَّلَاقُ فِي الْإِسْلَامِ، وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا عِنْدَ الْحَاجَةِ، فَإِنَّهُ نِهَايَةُ عَلَاقَةٍ قَامَتْ يَوْمًا عَلَى الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ؛ وَلِذَلِكَ أَحَاطَهُ الشَّرْعُ بِآدَابٍ تَحْفَظُ الْكَرَامَةَ، وَتَصُونُ الْحُقُوقَ، وَتَمْنَعُ التَّشَفِّيَ وَالِانْتِقَامَ، وَمِنْ أَقْبَحِ مَا اسْتُحْدِثَ فِي هَذَا الْبَابِ مَا يُسَمَّى بِحَفْلَةِ الطَّلَاقِ؛ إِذْ تُحَوَّلُ لَحْظَةٌ يَعْتَصِرُهَا الْأَلَمُ، وَتَتَفَكَّكُ فِيهَا أُسْرَةٌ، وَيَتَأَثَّرُ بِهَا أَبْنَاءٌ، إِلَى مُنَاسَبَةٍ لِلِاحْتِفَالِ وَإِظْهَارِ الْفَرَحِ، وَكَأَنَّ انْهِيَارَ بَيْتٍ مُسْلِمٍ مَدْعَاةٌ لِلسُّرُورِ! وَهَذَا يَتَنَافَى مَعَ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَتْ بِالْإِحْسَانِ عِنْدَ الْفِرَاقِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. فَلَيْسَ مِنَ الْإِحْسَانِ أَنْ يُسْتَقْبَلَ الطَّلَاقُ بِالْمَظَاهِرِ الصَّاخِبَةِ، وَلَا أَنْ يُسْتَثْمَرَ فِي إِشْعَالِ الضَّغَائِنِ أَوْ كَسْرِ خَاطِرِ الطَّرَفِ الْآخَرِ، وَإِنَّمَا الْمَشْرُوعُ أَنْ يُطْوَى هَذَا الْفَصْلُ مِنَ الْحَيَاةِ بِأَدَبٍ، وَسَتْرٍ، وَحِفْظٍ لِلْحُقُوقِ، وَرَحْمَةٍ بِالْأَوْلَادِ.

رَوَى مُسْلِمٌ، عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ». قَالَ الْأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ».

أَمْرٌ يُحِبُّهُ إِبْلِيسُ، فَكَيْفَ يَحْتَفِلُ الْإِنْسَانُ بِهِ؟! وَهَذِهِ الْعَادَةُ – وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً فِي بِلَادِنَا، بِحَمْدِ اللهِ – فَقَدْ ظَهَرَتْ فِي بَعْضِ الْمُجْتَمَعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَرُوِّجَ لَهَا عَبْرَ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ.

أَيُّهَا الْمُبَارَكُونَ:

إِنَّ الزَّوَاجَ وَالطَّلَاقَ مِنْ أَعْظَمِ شُؤُونِ الْحَيَاةِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْهُمَا الْإِسْلَامُ لِلْأَهْوَاءِ، وَلَا لِلْعَادَاتِ الْمُتَقَلِّبَةِ، وَإِنَّمَا أَحَاطَهُمَا بِأَحْكَامٍ تَحْفَظُ الدِّينَ، وَتَصُونُ الْأُسْرَةَ، وَتُحَقِّقُ الْمَصْلَحَةَ، فَمَا وَافَقَ الشَّرْعَ مِنْ أَعْرَافِ النَّاسِ فَهُوَ مَحْمُودٌ مُعْتَبَرٌ، وَمَا خَالَفَ شَرْعَ اللهِ وَهَدْيَ رَسُولِهِ ﷺ فَلَا كَرَامَةَ لَهُ، وَلَوْ تَعَارَفَ عَلَيْهِ النَّاسُ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ.

فَخَفِّفُوا عَنْ شَبَابِكُمْ، وَيَسِّرُوا لَهُمْ سُبُلَ الْعَفَافِ، وَلَا تُحَمِّلُوهُمْ مِنَ النَّفَقَاتِ مَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ بِهِ، وَإِذَا وَقَعَ الطَّلَاقُ، فَلْيَكُنْ طَلَاقًا بِإِحْسَانٍ، لَا بِتَشَفٍّ وَانْتِقَامٍ، وَلْيَكُنْ شِعَارُ الْأَزْوَاجِ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بُيُوتَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يُؤَلِّفَ بَيْنَ قُلُوبِ الْأَزْوَاجِ. اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى حَمْلِ الأَمَانَةِ، وَجَنِّبْنَا الْغَدْرَ وَالْخِيَانَةَ، اللَّهُمَّ اكْفِنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنَا بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ. اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَأَرْغِمِ النِّفَاقَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَانْصُرْ دِينَكَ وِكِتَابَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ ﷺ وَعِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، وَوَفِّقِ – اللَّهُمَّ – أَمِيرَنَا وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لِهُدَاكَ، وَاجْعَلْ أَعْمَالَهُمَا فِي طَاعَتِكَ وَرِضَاكَ، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا سَخَاءً رَخَاءً، دَارَ أَمْنٍ وَإِيمَانٍ وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

لجنة إعداد الخطبة النموذجية لصلاة الجمعة